# السفينة في وسط البحر[1]

❁ ❀ ❁

لقد كان أجمل الدروس وأقواها التي لقَّنها الرب يسوع لكنيسته الناشئة – للتلاميذ – تلك التي كان مكانها السفينة السائرة في وسط الأمواج الهائجة (مر ٤: ٣٥-٤١). لقد اختبر فيها التلاميذ أهمية وجود الرب في السفينة، وتعلَّموا في وسط البحر الهائج ما لم يتعلَّموه من أعظم المعجزات. ولقد رأى الآباء في حياة المسيحي في العالم، وفي حياة الكنيسة كلها، شيئًا كبيرًا في السفينة العابرة لبحر هذا العالم: شراعها: الصليب المقدَّس، ورُبَّانها: الرب يسوع. والكنيسة في عبورها تمخُر عُبَاب بحر العالم، وهي حَذِرة في عدم دخول مياه العالم فيها، وهي تعلم أنها تسير في اتجاهٍ مُضاد لتيارات العالم. تسير بقوة الروح القدس ضد تيار البحر المُتلاطم. وهذا السير المتواصل علامة حيويتها وقوتها. والمسيحي وكنيسته رغم أنهما ليسا من هذا العالم، ولكنهما ينفعان العالم كثيرًا. فالمسيحي نورٌ، والنور يُبدِّد ظلمة العالم، والسفينة تحمل رئيس الحياة، والحياة تبتلع فساد الموت. والكنيسة تحنو على العالم لتنتشل النفوس التي لاطمتها أمواج العالم لتُغرِقها. فالكنيسة سفينة إنقاذ، سفينة نجاة، تعمل عمل السامري الصالح مع كل الأجناس، الذين خارجها أكثر من الذين بداخلها. تعمل دائمًا وباستمرار، لأن طبيعتها العمل الدائم: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (يو ٥: ١٧).

## أولاً: الكنيسة ليست من هذا العالم

يا رب، أنت تعلم أن سفينة حياتي تعيش في بحر العالم، بل إنك نبَّهتني لذلك وقلتَ لي: «لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ» (يو ١٥: ١٩). آبائي القديسون كان بينهم وبين العالم خطٌ واضح، ولم تتسرَّب مياه العالم لحياتهم. العالم الآن أمواجه

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد ديسمبر ١٩٧١، ص١٩.

شديدة، أمواج مادية وشهوانية ودوافع حب امتلاك وحب ظهور وطمع في مراكزه. وأنت يا رب يسوع وُلِدتَ في مذود الاتضاع، وهربت في هدوء أمام بطش العالم إلى أرض مصر، وذُقت الغُربة منذ طفولتك، وظُلِمتَ واتهموك أنك مُجدِّف وضد قيصر، وفي كل هذا شهدتَ ضد باطلهم لأنك لم تكن من عالمهم.

**ربي ما هو أسلوب حياتي في العالم؟**

١ – العالم يهتم بالخارج، خارج الصحفة، وأنتَ قُلتَ لي: ملكوت الله داخلك. ليس المهم شكل المذود؛ ولكن المهم يسوع داخل مذود حياتي. هل الإنسان المسيحي يهمه شكل الموضة واللبس، أم شكل الداخل الذي يسكنه يسوع؟ العروس تتزيَّن لتُعجِب عريسها يوم زفافها، وأنتِ يا نفسي، اهتمي بداخلك لتُعجبي يسوع. العريس السماوي لا يهمه نوع الموضة، بل يهمه الجمال الداخلي للنفس. والكنيسة اليوم ليس المهم فيها المظهر المادي، وكثرة وسائل الإعلام، بقدر ما يهمها أن تفوح منها رائحة المسيح الذكية[٢]. ليس لها أن تعظ عن عظمة الآباء، بقدر ما تسلك طريقهم. لقد كانت رائحة المسيح الذكية هي التي نشرت سيرة أنطونيوس للغرب، حتى شدَّت أنظار الأوربيين، فخلع أولاد الملوك تيجانهم، ليعيشوا مثل أنطونيوس. بل إن الذين تابوا بسيرة أوغسطينوس أكثر من الذين تابوا بعظاته. هناك آلاف الكُتُب التي تُنشر عن المسيح كل عام، ولكن الكل يسأل أين نجد المسيح؟! فالمسيح لا يُعلَن عنه بكثرة الكُتُب؛ لكن بحياته في أولاده، الذين تفوح منهم رائحته الذكية.

٢ – المسيح لا يقبل مجد العالم: «مَجْدًا مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ» (يو ٥: ٤١ ) لقد كان مجد الكنيسة في حياة شهدائها ونُسَّاكِها. مجد العالم في الرياء والمراكز والراحة واللَّذة، ومجدنا هو في العَرق والدموع والتوبة، لأن كل مجد ابنة الملك من داخل. نتضرَّع إليك، يا رب، أن تُعيد للكنيسة مجدها الذي منك، وليس الذي من العالم.

٣ – ينبغي أن يكون أسلوب التعامل في الأسرة، في العمل، في الكنيسة، هو أسلوب المسيح. فالدهاء والمكر والخداع والكذب والنفاق والمُداهنة والدخول فيما لقيصر، هذا الأسلوب عندما يدخل الكنيسة، يكون بمثابة تسرُّب لمياه العالم إلى سفينة حياتي.

---

(٢) رغم مرور أكثر من ٥٠ عامًا على كتابة هذه الكلمات، لكن مدى احتياج الكنيسة إليها اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى.

ربي، أنت أوصيتني بالصدق والمحبة، والمواجهة في شجاعةِ واتضاع، الفرز بين ما هو لقيصر وما هو لله، والخضوع للرؤساء، والاتكال على الله، والزهد، وإنكار الذات.

٤ – الرب يُحذِّرني من الأساليب الاجتماعية العالمية، ويقول لي: "الماء الذي يعطيه العالم، الذي يشرب منه يعطش، أما الماء الذي أنا أعطيه فالذي يشرب منه لا يعطش إلى الأبد"، (انظر: يو ٤: ١٣، ١٤). الحياة المسيحية باحتياجاتها لا تُشبَع بوسائل العالم السيكولوجية؛ ومشاكل الأسرة لا تُحَلُّ بالنظريات الاجتماعية؛ ومشاكل الشباب لا تواجَه بتركيز الحديث عن الكبت والاختلاط والجنس، بل بالحديث عن المسيح والتوبة. كل هذا بلا شكٍّ هو جنوح من السفينة لتصطدم بصخرة هذا العالم. الكنيسة أسلوبها هو الصلاة، التوبة، اللجوء لحضن يسوع، الانسحاق، أمَّا أنصاف الحلول في حياتي فهي عرض شيطاني.

٥ – من داخل السفينة يُعلِّمني الرب هذا الدرس الخالد: إن غرق السفينة يعني غرق الكل، ونجاتها يعني نجاة الكل. علينا جميعًا أن نسعى للاتحاد والوحدة في الرأي والهدف واختفاء الذات. لا يقول أحدٌ مَنْ هو الأعظم، بل الكل يقول: لنعمل لكي ننجو. وهذه الروح مبنية على الطاعة والتفاهم وإنكار الذات. كما علَّمتني يا رب، أنه ليس لأحد الفضل في نجاة السفينة؛ بل الكل يقول: إن الرب وحده، هو الذي سمع الصراخ، وسكَّن الرياح، وقاد السفينة للأمان.

## ثانيًا: الكنيسة أقوى من العالم

رُبَّان السفينة يقول ثقوا: «أَنَا هُوَ لَا تَخَافُوا»، ويؤكِّد أنه سيكون لي في العالم ضيق (أمواج)، ولكنه يقول: ثق أنا قد غلبتُ العالم (بأمواجه الهائجة) (يو ١٦: ٣٣).

+ يا نفسي، بين يديك كتاب مقدَّس: أعترف أمامك يا رب، أني أهملته ولم أُعطِهِ حقَّه. وهذا الكتاب يُحدِّثني عن غلبة العالم وعن قوتي: «كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ» (١يو ٢: ١٤). إن كلمة الله قوة جبَّارة، فلا تُهمليها يا نفسي، إنها لا ترجع فارغة أبدًا، وهي سيف ذو حدَّين. إنها وسيلة نقاء القلب: «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» (يو ١٥: ٣).

+ وغلبتنا أكيدة بإيماننا بأن الله معنا: «كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهذِهِ هِيَ

الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا» (١يو ٥: ٤). «أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ» (١يو ٤: ٤). عندما دخل الرب السفينة سكنت الرياح (مر ٦: ٥١). لقد كان آباؤنا دائمًا يُردِّدون اسم يسوع، وداود النبي وضع الرب أمامه في كل حين، فلم يتزعزع. ونحن بالإيمان الذي نعيش به وسط السفينة نستطيع أن ننقل الجبال.

+ والكنيسة قوية بطهارتها وصلواتها: فالوقوف المتواتر أمام الله يعكس نور الله على حياتنا، فنكتسب جمالًا، ونُخيف الشيطان بصلواتنا. يصف سليمان الكنيسة قائلًا: "مَنْ هِي المُشرقة مثلَ الصباحِ، جميلةُ كالقمرِ، طاهرةٌ كالشمسِ، مرهبةٌ كجيشٍ بألوية" (انظر: نش ٦: ٤).

+ والكنيسة أقوى من العالم بمحبتها للأعداء: لقد هزمت الكنيسة الأباطرة بمحبتها، وحوَّلت الذئاب إلى حملان بوداعتها، وهزمت شهوات العالم بحبها للمصلوب، وبقوة صليبه. نعم، ما أرهبها كجيشٍ بألوية!

+ والكنيسة غنيةٌ بمسيحها: فإذا كان الدولار اليوم هو مصدر ثراء العالم، فإن الكنيسة الأولى كانت تُردِّد دائمًا: «لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلَا ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!» (أع ٣: ٦). وكان شعار الرسول بولس دائمًا: «كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ» (٢كو ٦: ١٠). النفسُ المؤمنة تملك كنوز الحكمة والمعرفة والغنى، التي هي يسوع المسيح (كو ٢: ٣). لماذا تعيش الكنيسة فقيرة وهي غنية؟ ولِمَ تبحث الكنيسة عن مبادئ غريبة، وتعاليم مستوردة، وأنشطة عالمية فقيرة ندَّعي أننا بها نُغني الكنيسة؟ وذلك بدل أن تبحث عن حياةٍ غنية، عاشها آباؤنا، عاشوا أغنياء بالمسيح. يا نفسي، ليس لك غِنىً إلَّا يسوع حياتك.

+ الكنيسة دائمًا قوية بكلمة الله، قوية بالإيمان الذي يُقيم الموتى، قوية بطهارتها، قوية بصلواتها التي تُحضِر يسوع فورًا داخل السفينة، أو تُوقِظه لينتهر الرياح. الكنيسة قوية بصليبها وبصلبها لذاتها.

والعكس، عندما تترك الكنيسة إنجيل المسيح، وتخضع لإنجيل المجتمع. وعندما يضعف إيمانها، وتتدنس طهارتها وتفتر صلواتها، عندئذ يصغر قلبها فترمي صليبها.

فتصبح السفينة طُعمًا سائغًا لأمواج هذا العالم.

## ثالثًا: الكنيسة مسؤولة عن العالم

(١) الكنيسة مسؤولة أن تُسعِد العالم بالخبر السار، خبر الإنجيل (البشارة المفرحة). هي كارزة بالمسيح الذي يقيم الميت، ويخلق من الموت حياة؛ يخلق من الزانية قديسة، ومن العشَّار إنسانًا مُحبًّا للعطاء، ومن شاول العنيد بولس المُطيع. الكنيسة ليس بها رائحة موت بل رائحة حياة. يدخلها الزاني فيخرج طاهرًا، اليائس فيخرج مملوءًا رجاءً. يدخلها الحقود فيخرج مُحبًّا. يدخلها المُتكبِّر فيخرج متواضعًا. مسؤولية الكنيسة هي الكشف عن يسوع الفادي المنتظِر رجوع الخطاة وتوبتهم. الكنيسة مستشفى وليست محكمة (يوحنا ذهبي الفم). إنها داعية لكل نفس، لكي تشرب بفرح من ينابيع الخلاص.

(٢) والكنيسة سفينة صيد: جمعت سمكًا كثيرًا من كل الأنواع. إن المؤمنين صيَّادون، هدفهم جذب النفوس، لا يستريحون ولا يشبعون إلَّا بالصيد.

(٣) والكنيسة سفينة إنقاذ، إنها متواضعة وجريئة، تتواضع لتغسل أرجل الخطاة، وهي تعلم أنهم سيصيرون فيها قديسين. الكنيسة تُضمِّد جراحات شبابها الذين جُرحوا من اللصوص، وهي تُعوِّض لهم الدم النازف من جراحاتهم بدم المسيح. هي لا توسِّع جُرحًا، بل تصبُّ زيتًا. لا تُفرِّق بين جنسٍ وآخر، لأنها سامري صالح.

(٤) المسيحي نورٌ وملحٌ للعالم: «مَنْ هذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَانٍ مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ؟» (نش ٣: ٦). إنه نور أعمدة الدخان الخارجة من الشمعة التي تحترق لتُضيء من حولها، وفي احتراقها يخرج نورٌ كأعمدةِ الدخان فيُضيء للجالسين في الظلمة، ويُخرج عطرَ المُر، عطرَ آلام الشهادة ليسوع، وعطرَ اللُّبان، عطرَ الصلاة التي ترفعها الكنيسة من أجل العالم. الكنيسة لا تعرف الانعزال، إلا من أجل الصلاة، ثم تعود للعالم لتخدمه، فتجذبه بعطرها إلى فوق، حيث يرتفع دخانها.

**وفوق كل هذا، فللكنيسة،**

أولًا، رُبَّان ماهر. هو الذي سمح بعبور السفينة للبحر، وسمح بالريح المُضادة وهياج الأمواج، وتظاهَرَ بتجاوزه السفينة. كل هذا سمح به الرب من أجل نفسي المُدلَّلة الضعيفة الإيمان، المُتَّكلة على ذاتها، غير المُحِبَّة للآخرين. تركني لكي أصرخ إليه فيحضر

وتهدأ حياتي وأُومِن أنه لا سلام ولا حياة ولا نجاة إلَّا في وجود يسوع في سفينة حياتي. وأعطاني الدرس عندما أجده "أن أمسكه ولا أرخه" (نش ٣: ٤). وحرَّرني من كبريائي، فصرختُ وقلتُ: «خيرٌ لي أنك أذللتني لكي أتعلم وصاياك» (مز ١١٩: ٧). لم يكن هناك وسيلة لتصفية الصديد من قروح حياتي، إلَّا بالعصر والضغط وهياج الأمواج، وعندما يخرجُ الصديد، أحس بالراحة، فتتفتَّح عيناي على يسوع، متربِّعًا على عرش قلبي، فأمسكُ به ولا أرخيه، ربي إني أشكرك.

ثانيًا، لنا أصدقاء على الشاطئ: من بعيد وصلوا بسلام، يُصلُّون من أجلنا كثيرًا، ويرمون لنا أطواق النجاة، ويُرسلون لنا وسائل الإنقاذ بآلات الإرسال. يقول القديس أنطونيوس: "أِلقِ بأثقالك في البحر (أموالك وما يُربك حياتك) وتمسَّك بالصليب فهو وسيلة النجاة". ويُرسِل لنا يوسف الصدِّيق خبرته ويقول: "تمسَّك بالرب ولا تصنع الشر لأنه حاضر في كل مكان معك". أمَّا أرسانيوس فيقول: "بهدوء اصمت فتنجو ولا تندم". وموسى يقول: «قِفُوا وَانْظُرُوا خَلَاصَ الرَّبِّ» (خر ١٤: ١٣). والأنبا بيشوي يقول: "احملوا المسيح، لأنه أمامكم في شخص إنسانٍ محتاج". هذه السحابة من الشهود تقول لنا: تشدَّدوا، تشجَّعوا، سيروا في طريق الصليب الذي سرنا فيه، صلواتنا من أجلكم ترتفع في شكل بخور من المجامر الذهبية في أيدي الأربعة والعشرين قسيسًا (رؤ ٥: ٨).

يسوع معكم، الرب قريب. والوصول لشاطئ الأمان أكيد.

الرب الهنا يقود السفينة من مجد إلى مجد في بحر هذا العالم المتلاطم برعاية وكيله الأمين الجالس على كرسي مار مرقس الذي اختاره لقيادة السفينة للبر بسلام آمين.

**********


**دير القديس أنبا مقار**

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

**00211300000153**

**دير القديس أنبا مقار**

**بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني**